

جنينها، ويضعه بين يديها بعد موتها؟ او ان يقطع أوصال رضيع، ويرتبها على شكل دائرة، ويضع الرأس في الوسط؟ كل ذلك حدث.

في المجازر الهمجية التي قرأنا عنها، كان يحدث انتقام. ولكنه انتقام، أي ردّ فعل على فعل، صدر عن الضحية. أمّا هنا، فماذا يمكن ان يصدر عن رضيع؟

زيادة على ذلك، كان الغزاة في المجازر القديمة يدخلون المدينة، أو الحي، منتصرين. أمّا هؤلاء، فقد دخلوا في ظل الحرب الاسرائيلية. هم، في رأي حلفائهم ومدربيهم الاسرائيليين، جنباء، لا يجوز حتى تسميتهم بـ «المقاتلين»^(١).

اذن، ثمة همجية كبرى، وصدرت عن جنباء، في تقويم الاسرائيليين. أيكون معنى ذلك، ان الفعل كان تعبيراً عن عقدة نقص؟ عن حقد؟ ما هي العوامل التي دفعت الى الارتكابات الفظيعة؟

أجاب ضابط في تلك الميليشيات، وصف بأنه شاب في الرابعة والعشرين، ومهندس، عن سؤال وجّهه اليه التلفزيون الاسرائيلي، هو: «هل اشتركت في قتل النساء والاطفال في صبرا وشاتيلا؟ فقال: «قتل نساء؟ انتم تصنعون قصة من لا شيء. سوف استمر سنوات في قتل الفلسطينيين...»^(٢). أي ان قتل حوالي ثلاثة آلاف وخمسمئة فلسطيني، حسب تقدير الصحافة العالمية حينذاك، يؤلف لا شيء في نظره.

أيضاً، هذه الاستهانة الكبيرة بالحياة الانسانية تؤلف جزءاً من الهمجية التي اتصفت بها المجرزة. أيكون هؤلاء وحوش غابة؟ أم كائنات متوحشة؟ لا، أبداً. تراهم في المقهى، في البيت، في الشارع، أسوياء تماماً؛ وقد تجد لدى الواحد منهم ثقافة، أو خبرة في هذا المجال أو ذاك؛ وقد يكون دمثاً، حسن المعشر، بل قد لا يكون جنائياً، كما قال الاسرائيليون. طبعاً، لا يمكن ان ينسى المرء، ولو للحظة، انهم هم المجرمون، هم المسؤولون عن الارتكابات الفظيعة، التي تمتّ. لكن، في الوقت عينه، لا يجد المرء تفسيراً لفعاليتهم البشعة، لا في طبيعتهم «الشريرة»، ولا في تركيبهم البيولوجي الخاص، بل ولا في الحقد الشخصي على الفلسطينيين، أو على أية فئة لبنانية. وانما التفسير هو في تشكيلهم السياسي - الاجتماعي.

هم، أولاً، وقبل كل شيء، يقبضون رواتبهم من اجل القيام بهذه المهمة؛ أي هم موظفون مثل ذلك، مثلهم مثل الجلّاد الذي وظيفته تنفيذ أحكام الاعدام. وهم، ثانياً، جزء من تنظيم، أو من تنظيمات سياسية - عسكرية وضعت لنفسها هدفاً، هو ضرب الفلسطينيين بصورة خاصة، وضرب كل ما هو تقدمي في المجتمع اللبناني عموماً. لذا، ليس صدفة ان تستعمل الميليشيات المذكورة المفردات الاسرائيلية ذاتها بالنسبة الى الفلسطينيين، وبشكل أقسى: «فالرضيع، أو الجنين الفلسطيني، هو 'ارهابي' المستقبل». وهم، ثالثاً، منظمون على أساس طائفي. والطائفية لا تعني التدين مطلقاً؛ بل هي مغايرة له تماماً. فالتدين لا يقتضي من المرء ان يقتل، أو يبيد، أبناء دين آخر، لمجرد انهم من دين آخر. بالعكس، التدين يمنع ذلك؛ وقد يدفع الى التعامل الحسن مع الآخرين، اضافة الى ممارسة الشعائر الدينية. بينما التنظيم على أساس طائفي يعني استخدام الدين، واستغلاله، من اجل خداع المؤمنين، ووضعهم في خدمة المخططات المشبوهة لزعماء التنظيم، أيّاً كانوا، دون ان يكون ذلك لا لصالح المؤمنين، ولا لصالح مجموع الشعب في البلاد التي يحدث فيها اللعب بالورقة الطائفية.

التنظيم على أساس طائفي هو، عموماً، تنظيم فاشي، وموجّه كحربة ضد الآخرين، وحتى